التَّضمين في اللُّغة والنَّحو والبلاغة

معناه، أنواعه، أثره، فائدته في الإيجاز والتَّوسُّع والتَّوكيد والمبالغة

م.م. أمير فتاح عباس أمين

المقدِّمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وسيد المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فإن من أسرار البلاغة العربية وذوقها أن تساير الأساليب المختلفة، وتتماشى مع المواقف والسياقات حسبما يتطلب المقام اللُّغوي والنفسي, والبلاغة الحق – إضافة إلى كونها الكلام المكتوب أو المسموع– هي التي تقدِّر الظروف والمواقف, وتعطي كلَّ ذي حق حقَّه, مهما كان نوع الكلام شعرًا أم نثرًا, أم غير ذلك.

لقد بحث علماء اللُّغة والنَّحو – قديمًا وحديثًا – ظاهرة التَّضمين النحوي في الشعر والنثر، وفصَّلوا الحديث في تعريفه ومفهومه وأقسامه، وعلاقته بقضيَّتي اللُّزوم والتَّعدي، والأصل والفرع، وكتبوا في ذلك كثيرًا، ثم كان لمفسِّري القرآن الكريم دورٌ في بحث موضوع التَّضمين النحوي هذا؛ إذ إنه كتاب الله الذي نزل ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء:١٩٥].

واللافت في الأمر أن درجة العناية الكبرى بالتَّضمين النحوي درسًا وتحليلًا إنما كانت في سياق الدراسات القرآنية، وما يتصل بالنصِّ القرآني من شروح وتوضيح، ولقد جاءت المساحة الكبرى من دراسة التَّضمين ضمن تفسير القرآن الكريم، وتوضيح ما يتَّصل بالنَّص القرآني من جوانب بلاغيَّة ولغويَّة وإعجازيَّة.

إن لكلِّ فعل في اللُّغة العربية حرف جرٍّ يناسبه، ويشكل معه معنًى متكاملًا، وقد تقرأ في القرآن الكريم آية كريمة، أو تسمع حديثًا نبويًّا، أو تقرأ شعرًا أو نثرًا، تستغرب لأول وهلة وجود حرف جرٍّ فيها وتظنُّ أن غيره أولى منه بالذِّكر، أو تجد فعلًا متعديًا بغير الحرف المعتاد أنه يتعدَّى به، والحق أن

كلَّ حرف، أو كلَّ فعل قد نزل في مكانه المناسب له، والأمر يرجع إلى بحث جليل في اللُّغة العربية يقال له (**التَّضمين**).

أهمية البحث:

موضوع التَّضمين (ظاهرة نحوية ولغوية) ارتبطت بعلوم النحو والبلاغة واللِّسانيات والقافية الشِّعرية، وإنَّ فهم حقيقة التَّضمين ساعد على معرفة أسرار اللُّغة العربية وثرائها عمومًا، وأبرز بلاغة القرآن الكريم خصوصًا.

أهداف البحث:

١ - رصد مراحل تطوُّر مفهوم التَّضمين النَّحوي، وبيان نشأته عند البصريّين.

٢ - اهتمام علماء البلاغة المعاصرين بالتَّضمين، وذكر مؤلَّفاتهم في ذلك.

٣ - بيان شروط التَّضمين وضوابطه عند اللُّغويّين.

٤ - بيان أثر التَّضمين في لزوم الأفعال وتعدِّيها.

٥ - أقسام التَّضمين، والوقوف على الفرق بين التَّضمين النَّحوي والتَّضمين البياني.

٦ - الوقوف على اختلاف علماء البلاغة في التَّضمين تحت أي جنس من أجناسها يُدرجونه.

٧ - اتِّفاق علماء اللُّغة والنَّحو والبلاغة على أنَّ التَّضمين هو أحد الأساليب البيانيَّة الرَّفيعة.

٨ - هل التَّضمين واقع في القرآن الكريم، والحديث النبوي؟

٩ - فوائد التَّضمين البلاغيَّة ودوره المهمُّ في اتِّساع اللُّغة المتمثِّل في إكساب اللَّفظ معاني متنوِّعة ووظائف ودلالات جديدة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث أن ينتظم في مقدِّمة وثلاثة مباحث، ذكرت في المقدِّمة قيمة موضوع التَّضمين العلمية، وبيان أهميَّته لمن يدرس كتاب الله تعالى المنزل باللِّسان العربي المبين، كما أشرت إلى أبرز أهدافه.

أمَّا المبحث الأول فقد احتوى على تعريف التَّضمين لغةً واصطلاحًا، وبيان أقسامه، وذِكْرِ اختلاف علماء البلاغة في هذه الأقسام.

وأمَّا المبحث الثاني فقد جعلته للكلام على نشأة التَّضمين تاريخيًّا، ومراحل تطور دلالته، وبيان دور مجمع اللُّغة العربية في القاهرة في العصر الحديث من مفهوم التَّضمين.

وفي المبحث الثالث تمَّ الحديث عن ضوابط التَّضمين وشروطه عند اللُّغويّين والنُّحاة، ثم بيان فوائده البلاغيَّة ودوره في اتِّساع اللُّغة ودلالاتها.

وأخيرًا في الخاتمة بيَّنت خلاصة البحث، ونتائجه.

وانطلاقًا من رغبتي في معرفة خصائص العربية وكشف أسرارها وإعجازها لاسيما المرتبط منه

بكتاب الله عزَّ وجلَّ، فقد قمتُ بكتابة هذا البحث، مستعينًا بالله تعالى. وما توفيقي إلا بالله.

المبحث الأول: التَّضمين

تعريفُه لغةً واصطلاحًا عند المحقِّقين من النُّحاة وعلماء البيان

تمهيد

يعدُّ التَّضمين من الأساليب البلاغية الرفيعة، وله أهمية كبيرة في اللُّغة نظرًا لتعدُّد ميادينه، وأغلب مباحثه في تعدية الفعل ولزومه والحقيقة والمجاز، وفي ضوء التَّضمين النحوي تفسر معظم حالات التَّعدِّي واللُّزوم، وله أثر في نقل الفعل من الباب الذي هو فيه من التَّعدِّي أو اللُّزوم إلى باب المجاز أو الحقيقة.

التَّضمين لغةً: إيداع شيء في شيء يقال ضَمَّن الشيءَ الشيءَ إذا أودعه إيَّاه كما تودع الوعاء المتاع وضمَّن الميت القبر فتضمَّنه أي: احتواه(١).

وقال أصحاب المعجم الوسيط في العصر الحاضر: ضمن الشيء الوعاء ونحوه جعله فيه وأودعه إيَّاه جعله يضمِّنه(٢).

التَّضمين اصطلاحًا: هو إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه في التَّعدِّي واللُّزوم، يعني: أن يعامل فعل معاملة فعل آخر في التَّعدِّي واللُّزوم لتقارب في المعنى بينهما، وذلك إذا تضمَّن معناه(٣).

أقسام التَّضمين:

يكتسب التَّضمين مفاهيم متعدِّدة تتنوَّع أقسامه تبعًا لتنوُّع فنون وأساليب وعلوم اللُّغة التي تستخدمه، فهناك التَّضمين البياني، والتَّضمين النحوي، والتَّضمين البديعي، والتَّضمين العروضي، وكل هذه المصطلحات غالبًا ما تتَّصل بجذور المعنى اللُّغوي، وترتكز وتتأسس عليه، ولا يتمُّ ذلك بشكل اعتباطي.

١- أمَّا **التَّضمين البديعي:** فهو تضمين المتكلم كلامَه جملة أو لفظة لتأكيد المعنى أو لترتيب نظم كلامه آخذًا الجملة أو اللَّفظة المتضمنة من النثر كالقرآن والحديث أو الأمثال العربية السائرة أو

---

(١) لسان العرب، لابن منظور، مادة (ضمن)؛ والقاموس المحيط، للفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب مادة (ضمن)؛ وتاج العروس، للزبيدي، مادة (ضمن).

(٢) المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، مادة (ضمن).

(٣) التَّضمين في العربية، بحث في البلاغة والنَّحو، د. أحمد حسن حامد، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠١م-١٤٢٢هـ، ص٤١ ؛ وتيسيرات لغوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (د. ت) ص٨١.

المقامات أو الشعر فيضمِّنها كلامَه لتكتسب صبغة أدبية جميلة.

مثال ذلك قول ابن نباتة في خطبه له: «فيا أيها الغفَلة المُطرِقون أمَا أنتم بهذا الحديث مصدِّقون؟ فما لكم منه لا تشفقون؟ ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات:٢٣]». فقد ضمَّن كلامه آية من القرآن الكريم.

وكذلك فعل حينما قال ذاكرًا يوم القيامة: «فيومئذ تغدو الخلائق على الله بُهْمًا فيحاسبهم على ما أحاط به علمًا ويُنْفِذُ في كل عامل بعمله حُكْمًا، ﴿وَعَنَتِ ٱلۡوُجُوهُ لِلۡحَيِّ ٱلۡقَيُّومِۖ وَقَدۡ خَابَ مَنۡ حَمَلَ ظُلۡمٗا﴾ [طه:١١١]»[١].

ومن أمثلة التَّضمين البديعي قول الشيخ محمد الخضر حسين رحمه الله تعالى في كتابه الحرية في الإسلام: وكان أبو بكر الصديق من العلم بقوانين الشريعة، والخبرة بوجوه السياسة في منزلة لا تطاولها سماء[٢]. وفي هذا تضمين لبيت البوصيري:

كيف ترقى رقيّك الأنبياء يا سماءً ما طاولتها سماءُ

ومن أمثلته قول ابن زيدون[٣] :

خفضتَ جَناحَ الذُّلِّ في العزِّ رحمةً لها وعزيزٌ أن تذلَّ وتَخضَعا

فقد ضمَّن بيتَه هذا قولَه تعالى: ﴿وَٱخۡفِضۡ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحۡمَةِ﴾ [الإسراء:٢٤].

٢- وأمَّا **التَّضمين العروضي**: فأن يكون بيت الشعر متعلِّقًا بالبيت الذي بعده ولا يتمُّ معناه إلا به[٤]، كقول مجنون ليلى[٥]:

وأدنيتِني حتى إذا ما سَبيتِني بقولٍ يُحلُّ العُصْمَ سهلَ الأباطحِ
تجافيتِ عنِّي حين لا ليَ حيلةٌ وغادرتِ ما غادرتِ بينَ الجوانحِ

ويعدُّ ذلك من عيوب الشعر، قال صاحب العقد الفريد معلِّقًا على البيتين: «وهذا من أرق الشعر كله، وألطفه لولا التَّضمين الذي فيه، وإنما يُحمدُ البيتُ إذا كان قائمًا بنفسه، قال العباس بن الأحنف نظيرَ قول المجنون بلا تضمين[٦]:

---

(١) المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م، ٢/ ٣٢٨.

(٢) الحرية في الإسلام، الشيخ محمد الخضر حسين، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ٢٠٢١م، ص٢٠.

(٣) ديوان ابن زيدون، شرح كامل كيلاني، ط١، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٣٢م، ص ١٨٦.

(٤) قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، د. محمود الحسن، دار المنهاج القويم، دمشق، ط١، ٢٠٢٠م-١٤٤١هـ، ص ٢٤٦.

(٥) الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ١٩٩٦م، ص ٥٧١.

(٦) قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص ٢٤٦.

أشكُو الذينَ أذاقُوني مودَّتهم حتَّى إذا أيقظُوني بالهوَى رقدُوا»[١]

٣- أمَّا **التَّضمين البياني** فهو إشراب لفظ معنى لفظ آخر وبقاء المعنى الأصلي على حاله بحيث تؤدِّي اللَّفظة الواحدة مؤدَّى لفظتين، وهذا النوع يكون في الأفعال كما يكون في الأسماء[٢].

مثال التَّضمين البياني في الأسماء (كما ذكره الزمخشري) قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٠٥] فقد ورد الاسم (حقيق) متضمِّنًا معنى الاسم (حريص) ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه[٣].

ومثاله في الأفعال قوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَٰطِبْنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾ [هود:٣٧] فقد تضمن فعل تخاطبني معنى تراجعني وفعل راجع يتطلب حرف الجر «في» والمراد ولا تراجعني في الذين ظلموا فتطلب العفو مني عنهم، ولو كان ولدك منهم فقد حق القول عليهم أن يغرقوا لإصرارهم على الكفر والطغيان[٤].

٤- وأمَّا **التَّضمين النحوي** فقد رأى علماء النحو أن بعض الألفاظ تخرج عن اختلاطها بعناصر الجملة التركيبية (في سياق المعنى) ثم تدخل في علاقات لغوية غير معتادة؛ إذ نجد الفعل الذي تستعمله العرب لازمًا قد تعدى إلى مفعول به، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠].

وقد يتضمَّن الفعل المتعدِّي معنى فعل لازم فيأخذ حكمه، من أمثلته قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] أي: يخرجون ذلك أن (خالف) يتعدَّى بنفسه فلمَّا ضمن معنى (خرج) عدي بحرف الجر «عن» ومن الشواهد الشعرية قول ذي الرمة:

وإن تعتذر بالمحل من ذي ضروعها إلى الضيف يجرح في عراقيبها نصلي

---

(١) ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٨٣م، ٣٧٨/٥ ؛ وقضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص ٢٤٦.

(٢) انظر: الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، ط١، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٩٢م، ص ٢٦٦.

(٣) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي (د. ت)، ١٣٧/٢ .

(٤) نظرات في كتاب الله تعالى، هشام عبد الرزاق الحمصي، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م، ص ٥٣.

فقد ضمَّن (يجرح) معنى (يفسد) وجرح متعد وفسد لازم فضمن المتعدِّي معنى اللازم بدليل تعديته بحرف الجر «في»[١].

وما يهمُّنا في بحثنا هذا هو التَّضمين عند النُّحاة والبلاغيين أي: التَّضمين النحوي والتَّضمين البياني. وهذا يقتضي منا معرفة الفرق بينهما.

الفرق بين التَّضمين النَّحوي والتَّضمين البياني:

التَّضمين البياني عند بعض علماء البيان يعتمد على تقدير حال محذوفة مناسبة للمعمول يعلَّق بها بينما التَّضمين النحوي عند من يقول به من النُّحاة، فهو يعتمد على إشراب فعل مذكور معنًى معينًا يُلحظ في فعل آخر.

والذين لا يقرُّون من علماء البيان أو النحو بالتَّضمين النحوي يرون أنه من مجاز الحذف، وهو ذاته التَّضمين البياني الذي يقول به من يعلِّق الفعل بحال تقدَّر بما يناسب المعمول في سياق الكلام.

يقول العلامة الصبان: « وأمَّا البياني فهو تقدير حال يناسبها المعمول بعدها لكونها تتعدى إليه على الوجه الذي وقع عليه ذلك المعمول، ولا تناسب العامل قبلها لكونه لا يتعدَّى إلى ذلك المعمول على الوجه المذكور، وهو قياسي اتفاقًا؛ لكونه من حذف العامل لدليل»[٢].

والمتتبع للزمخشري في كتابه **(الكشاف)** يرى أنَّه أول من وضع أسس التَّضمين وفرَّق بين ما ينبني على التعليق بالفعل المذكور، وما ينبني على التعليق بحال محذوفة، ففي قوله تعالى: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران:٥٢] يقول: « إلى الله من صلة أنصاري مضمنًا معنى الإضافة كأنه قيل: مَن الذين يضيفون أنفسهم إلى الله ينصرونني كما ينصرني؟ أو يتعلق بمحذوف حالًا من الياء أي: مَن أنصاري ذاهبًا إلى الله ملتجئًا إليه[٣]؟

فالزمخشري – كما هو واضح من قوله هذا – علَّق الجار والمجرور بأنصاري مضمنًا معنى الإضافة أي: أنه علق بالمذكور بعد أن صرح بأنه ضمن معنى الإضافة، وهذا يعني أن مفهوم التَّضمين عنده يوافق ما عند النُّحاة الذين يرون أن التَّضمين إشراب لفظ معنى لفظ آخر، ثم حين ذكر الجار والمجرور يصح تعليقهما بحال محذوفة، كما يفعل بعض البيانيين لم يسم ذلك تضمينًا، بل عدَّه مذهبًا نحويًّا مستقلًّا عن التَّضمين، وفي تقديمه الرأي الأول على الثاني دليل على أنه يميل

---

(١) انظر: التَّضمين في العربية، أحمد حسن حامد، ص٥٥.

(٢) حاشية العلامة الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان، المطبعة العامرية، القاهرة، ١٣١٩هـ، ٦٢/٢-٦٣.

(٣) الكشاف، ٣٦٦/١.

إليه ويقدِّمه[١].

ولا بد أخيرًا من القول: إنَّ هناك من لا يرى فرقًا بين التَّضمين النحوي والتَّضمين البياني يذكر ذلك الصبان في حاشيته على شرح الأشموني ناقلًا عن ابن كمال باشا إذ يقول:« الحق أن التَّضمين البياني هو التَّضمين النحوي».

ومن يذهب إلى عدم التفريق بينهما يزعمون أنه وَهْمٌ جاءه من عبارة الكشاف حيث قدَّر في قوله تعالى:﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] قدَّر يخالفون بخارجين عن أمر ربهم فتوهَّم أنه تقدير لعامل آخر، هذا ما رآه الصبان من وجهه نظره[٢].

والذي أميل إليه أن للتضمين مفهومًا وأحدا عند علماء البيان والبلاغة والنحو واللُّغة، وأن ما يبدو للمطلع أول أمره من فرقٍ بينهما إنما مردُّه إلى أن بعض البيانيين سمُّوا التعليق بحال محذوفة تضمينًا، وحقيقته من وجهه نظر علم النحو مجاز حذف والمحققون من العلماء خرَّجوا الفعل في مثل قوله تعالى:﴿مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٥٢] على أنه من مجاز الحذف، وقالوا: إنَّ «إلى» هنا في موضع حال متعلِّقة بمحذوف، والتقدير: مَن أنصاري مضافًا إلى الله أو إلى أنصار الله[٣].

ويبدو لي أن الفرق بين التَّضمين البياني والتَّضمين النحوي هو مجرد فرقٌ وهمي وأن الخلاف بين البيانيين والنحويين هو خلاف لفظي، وأن تحليل العبارة المحتملة لوجود تضمين، ومن وجهة نظر كلِّ وأحد من هؤلاء يصبُّ في النهاية في مصبٍّ وأحد؛ يستند إلى معطيات النحو في تمازج أجزائه، ويؤدِّي إلى محسنات بيانية تتلخَّص في الإيجاز بالألفاظ والتوسع في المعاني.

اختلاف علماء البلاغة في التَّضمين، وتحت أي جنس من أجناسها يُدرجونه؟

التَّضمين من الأساليب التي جرى الخلاف فيها بين نحاة البصرة والكوفة من جهة، وبين من لا يرى التَّضمين من أساليب البلاغة العربية، لا في النثر ولا في الشعر ولا في القرآن الكريم والسنة، ومذهبهم هذا يستلزم أن يكون حمل الكلام على حقيقته دون تضمين أولى من التكلف في

(١) قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص ٢٦١.

(٢) حاشية العلامة الصبان على شرح الأشموني، ٦٣/٢.

(٣) التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي،ط٢،بيروت، ١٩٨٧م، ص٢٦٤ .

حمله على التَّضمين[١].

لقد رفض نحاة البصرة أن يكون لحرف الجر أكثر من معنى، وبذلك رفضوا القول بتناوب حروف الجر[٢]، الذي قال به نحاة الكوفة وتابعهم في ذلك آخرون فتشكل الخلاف فيما بينهم في التَّضمين وأخذ يتسع، ولكن –في الحقيقة– لأسلوب التَّضمين حضوره لدى الأدباء والكتاب في التعبير عن أفكارهم، وتأليف صورهم ومعانيهم، وعلى أساسه فسَّر علماء النحو والبلاغة جانبًا مهمًّا من الدلالات اللُّغوية بين عناصر التركيب، فوجَّهوا الإعراب والدلالة الصرفية والعناصر الجمالية على وفق مفهومه.

إنَّ التَّضمين موضوع مختلف عليه عند النُّحاة، فمنهم من أدرجه في المجاز، وقال: موضوع سماعيّ؛ لأنَّه تضمين مجاز، وأنَّ اللَّفظ استعمل في غير ما وضع بقرينة، وجعل التَّضمين سماعيًّا لأنَّ المجاز عندهم سماعي، ومنهم من أدرجه في الحقيقة، وقال: موضوع قياسيّ؛ لأنَّه يرى أن التَّضمين حقيقة، وهنا جاء قرار المجمع اللُّغوي العربي القاهري، الذي أقر بقياسية التَّضمين؛ وَفْقًا لشروطه الثلاثة التي وضعها[٣].

وفي حين أن الفريق الذي يرى قياسية التَّضمين يعلل ذلك بكثرة ورود التَّضمين في اللُّغة، ومن ذلك قول ابن جني عن التَّضمين: «ووجدت في اللُّغة من هذا الفن شيئًا كثيرًا لا يكاد يُحاط به، ولعلَّه لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا».

وأمَّا الفريق الذي يرى التَّضمين سماعيًّا، فكان لهم حُجَّة أي: أنهم يخشون أن يصبح في لغة العرب فساد واضطراب في معاني الأفعال إذا أباحوا التَّضمين للناس، وكان الشيخ أحمد الإسكندري يعترض على بعض النقاد، ويقول: «إنما هو باب واسع يتعلَّق بجميع الأفعال في اللُّغة العربية، ولكننا لا نبيح التَّضمين على إطلاقه؛ لأنَّ هذا يجر الفوضى والفساد في اللُّغة، ولهذا نشترط له شروطًا خاصة». سنتعرض لهذه الشروط عند ذكر دور مجمع اللُّغة العربية في القاهرة في العصر الحديث من مفهوم التَّضمين، إن شاء الله تعالى.

وفي مسألة الاختلاف، نجد أنَّ النُّحاة اختلفوا في حقائق التَّضمين، فقد يرى بعضهم أن التَّضمين من باب المجاز، واستدلوا على ذلك بأن اللَّفظ استخدم لغير معناه، ومن ناحية أخرى يرى

---

(١) التَّضمين وأثره في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البليمي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ، ص١٠-١١.

(٢) المصدر نفسه، ص١٠-١١.

(٣) النَّحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط٩ ، ١٩٨٧، ٥٦٦/٢ ، بتصرف؛ وارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٨، ط١ ، ٤٦/٢.

آخرون أن التَّضمين فيه جمعٌ بين الحقيقة والمجاز، وذلك لدلالة الفعل المذكور على معناه بنفسه، وعلى معنى المحذوف بالقرينة، ويوضح آخرون أن الفعل المذكور استعمل في حقيقته، لم يأخذ معنى غيره، ولكن مع حذف حال مأخوذة من الفعل الآخر المناسب، بمعنوية القرينة اللَّفظية، وينظر فريق آخر أن اللَّفظ استُعمل في معناه الأصلي فيكون هو المقصود أصالة، ولكن قصد بتبعيته معنى آخر، فلا يكون من الكناية ولا الإضمار.

المبحث الثاني

مراحل تطوُّر مفهوم التَّضمين النَّحوي، وبيان نشأته عند البصريّين

لعل محاولة الوصول إلى معنى دقيق للتضمين تستلزم نظرة تاريخية ترصد مراحل تطور دلالته وتفسر مواقف العلماء من مسائله وأسباب اختلافهم في معناه.

ولأن التَّضمين ظاهرة لغوية مثلها مثل كل ظواهر نتائج الفكر الإنساني وتفاعله بعلاقاته اللُّغوية الكثيرة، فيمكن التعبير عن هذا بقولنا: إنَّ فكرة توجيه معنى التركيب وعلاقاته اللُّغوية على أساس التَّضمين أول ما نشأت على يد نحاة البصرة وبلغائها، وقد اقتصر مفهوم التَّضمين عندهم على دلالة الفعل المذكور، وما يجري مجراه بعد إنَّ يتجرَّد من معناه الأصلي على المعنى الجديد فقط الذي يصح أن يتعلَّق به معمول لا يصح أن يتعلَّق بالفعل المذكور، وما يجري مجراه إذا حمل على معناه الأصلي(١).

أمَّا الكوفيون فإنهم عندما تناولوا التراكيب المتصلة بالتَّضمين، فقد اكتفوا بتوجيه تلك التراكيب على أساس نيابة كلمة عن أخرى من باب الضرورة أو الشذوذ أو نيابة بعض حروف الجر عن بعض عندهم قياسًا، فهم يرون أن الحرف الذي يأخذ مكان غيره إنما يحمل معناه ويفسر به فلو سألناهم عن قوله تعالى حكاية عن سيدنا نوح عليه السلام: ﴿ وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [الأنبياء:٧٧] لقالوا: إنَّ حرف الجر (من) هو بمعنى (على) والمراد ونصرناه على القوم الذين كذبوا...

ولو سألنا البصريين لقالوا: إنَّ فعل (نصرناه) قد تضمَّن معنى نجيَّناه وحرف (من) هو المناسب لفعل نجيَّنا، وهو الأولى؛ لأنَّ قوم نوح لم يقاتلوا نوحًا بالسلاح أو في حرب فعلية، وإنما حاربوه باللِّسان وهدَّدوه بالقتل كما هددوا أتباعه المؤمنين معه بالعذاب والسجن والتشريد فأغرق الله

(١) قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ٢٥١ وما بعدها، بتصرف يسير.

تعالى الكافرين ونجَّى نوحًا عليه السلام ومن معه من كيدهم(١).

جاء العالم اللُّغوي ابن جني، وتمخَّض بحثه في التَّضمين عن فهم أعمق مما عند البصريين، إلا أنه لم يختلف عنهم فيما رأوه في مفهوم التَّضمين(٢)؛ حيث يقول: ووجدت في اللُّغة من هذا الفن شيئًا كثيرًا لا يكاد يحاط به، ولعله لو جمع أكثره لا جميعه لجاء كتابًا ضخمًا...وفيه أيضًا موضع يشهد على من أنكر أن يكون في اللُّغة لفظان بمعنى وأحد حتى تكلف أن يوجد فرقًا بين قعد وجلس(٣).

لقد كانت فكرة التَّضمين بالمعنى العام حاضرة في ذهن ابن جني، ففي معرض شرحه لمفهوم الترادف والاتساع الذي يشير إلى أنه يقول بالتَّضمين – وإن لم يصرِّح به – كما يظهر عند الاطلاع على كتابه (**الخصائص**) يقول: «اعلم أن الفعل إذا كان بمعنى فعل آخر، وكان أحدهما يتعدَّى بحرف والآخر بآخر، فإن العرب قد **تتسع** فتوقع أحد الحرفين موقع صاحبه إيذانًا بأن هذا الفعل في معنى ذلك الآخر، فلذلك جيء معه بالحرف المعتاد مع ما هو في معناه، وذلك كقوله عزَّ وجلَّ: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ [البقرة:١٨٧].

وأنت لا تقول: رفثت إلى المرأة، وإنما تقول: رفثت بها أو معها، لكنه لما كان الرفث هنا في معنى الإفضاء وكنت تعدِّي أفضيت بـ (إلى) كقولك: أفضيت إلى المرأة جئت بـ(إلى) مع الرفث إيذانًا وإشعارًا أنه بمعناه، وهو من التَّضمين بالمصادر، وعليه قول الفرزدق:

قد قتل اللهُ زيادًا عني

لما كان معنى قد قتله «قد صرفه» عدَّاه بـ(عن)(٤).

ثم جاء ابن الشجري ووجَّه كثيرًا من شواهد التَّضمين على أساس الحمل على المعنى والترادف نحو تعديته (يخالف) بـ(عن) في قوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ﴾ [النور:٦٣] إذ خالف عنده لا يتعدَّى بالجار فالقول: خالفت زيدًا. وإنما جاء محمولًا على ينحرفون عن أمره وشبيه بهذا وضع الجار موضع الجار لاتفاق الفعلين في المعنى كقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٢٤] والجاري على ألسنتهم ظفرتُ به وأظفرني اللهُ به، ولكن جاء أظفركم عليهم محمولًا على

(١) نظرات في كتاب الله تعالى، ٥٣-٥٤؛ مجلة مجمع القاهرة اللُّغوي، العدد الأول، سنة ١٩٣٤م، ص١٨٥ .

(٢) انظر الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، عالم الكتب، بيروت، تحقيق : محمد علي النجار، ٣١٠/٢.

(٣) الخصائص، ٣١٠/٢.

(٤) الخصائص،٢/ ٣٠٩؛ وقضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص٢٨٨.

أظهركم عليهم[١].

وهكذا يصل بنا المقام إلى أول من وضَّح مفهوم التَّضمين ووضع له تعريفًا وهو العلامة الزمخشري فخرج به من مجال التأويل النحوي للعبارات والتسويق اللُّغوي للاستعمالات إلى ميدان الإبداع وعدَّه أسلوبًا بيانيًّا ينطوي على فوائد بلاغية.

ونقل عن الزمخشريّ عامَّةُ النُّحاةِ والبيانيين والأصوليين من بعده مثل أبي حيان الأندلسي وابن هشام والسيوطي وغيرهم[٢].

ففي تفسيره (**الكشاف**) عند قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف:٢٨] قال عُدِّي بـ(عن) لتضمين عدا معنى نبا وعلا في قولك: نبت عنه عينُه، وعلت عنه عينُه إذا اقتحمته ولم تعلق به، فإن قلت: أيُّ غرض في هذا التَّضمين؟ وهلَّا قيل: ولا تعدهم عيناك، أو: ولا تعل عيناك عنهم، قلت: الغرض فيه إعطاء مجموع معنيين، وذلك أقوى من إعطاء معنى فذٍّ [أي: معنى وأحد] ألا ترى كيف رجع المعنى إلى قولك: ولا تقتحمهم عيناك مجاوزتين إلى غيرهم؟ ونحوه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢] أي: ولا تضمُّوها إليها آكلين لها[٣].

دور مجمع اللُّغة العربية في القاهرة في العصر الحديث من مفهوم التَّضمين كوضع لغوي:

وقد أثار أعضاء المجمع اللُّغوي في القاهرة قضية التَّضمين في اللُّغة والنحو في العصر الحاضر، وبعد مناقشة طويلة أقر المجمع استعمال التَّضمين بشروط ثلاثة:

- تحقيق المناسبة بين الفعلين والتي تسمَّى العلاقة.
- وجود قرينة تدلُّ على المعنى الملحوظ في الفعل الآخر، مع الأمن من اللَّبس.
- ملائمة التَّضمين للذوق العربي.

هذا، ويوصي المجمع اللُّغوي في القاهرة أن لا يُلجأ إلى التَّضمين إلا لغرض بلاغي، وما يلاحظ على قرار المجمع أنه متعلِّق بالجانب البلاغي، كما هو مصرَّح به[٤].

---

(١) الأمالي، هبة الله بن علي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة،١٩٩٢م، ط١، ٢٢٤/١-٢٢٥.

(٢) قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص٢٥٣.

(٣) الكشاف، ٧١٧/٢.

(٤) النَّحو الوافي، ٥٩٤/٢؛ ومجلة مجمع القاهرة اللُّغوي، العدد الأول، سنة ١٩٣٤م، ص ١٨٠-١٨١.

اهتمام علماء البلاغة المعاصرين بالتَّضمين، وذكر مؤلَّفاتهم في ذلك:

قام الدكتور عباس حسن في كتابه **(النحو الوافي)** بجمع آراء المجمعيين ومناقشاتهم في الجلسات التي عقدها مجمع القاهرة اللُّغوي للبتِّ في مسألة التَّضمين، وقد رأينا أنهم أقروا به ووضعوا شروطًا لاستعماله، وكانوا قد افترقوا إلى مذهبين: بعضهم أنكره ونفى وقوعه في اللُّغة والشعر، وحتى في القرآن الكريم والبعض الآخر أجازه، وعدَّه من الأساليب البلاغية للُّغة العربية، وقد ذكرنا شروطهم لجواز استعماله آنفًا.

وقد أفرد بعضهم موضوع التَّضمين بمؤلف خاص مستقل كالدكتور أحمد حسن حامد في كتابه **(التَّضمين في اللُّغة العربية)**.

ثم ألف الدكتور محمد نديم فاضل كتابه **(التَّضمين النحوي في القران الكريم)** حشد فيه جميع الآراء واختلاف العلماء في موضوع التَّضمين فجاء كتابه حافلًا.

كما أن الأستاذ عباس حسن بيَّن بالتفصيل متعلَّقات بحث (التَّضمين في اللُّغة والنحو والقرآن) وتوسَّع في ذلك في كتابه **(النحو الوافي)** وقد رأى أن الاسترسال في التَّضمين سيؤدِّي إلى نتيجة حتمية لكل ذلك ألَّا يوجد فعل أو شبهه مقصور على "التَّعدية" ولا آخر مقصور على اللُّزوم، وهذه غاية الفوضى والإساءة اللُّغوية التي تحمل في ثناياها فساد المعنى[١].

التَّضمين من الأساليب البيانيَّة الرَّفيعة:

اتِّفق علماء اللُّغة والنَّحو والبلاغة القائلون بالتَّضمين على أنَّه أحد الأساليب البيانيَّة الرَّفيعة، وهو أحد أشهر أساليب العربية التي تناولها المفسرون في الآيات القرآنية الكريمة والشعر والنثر والمقالات وسائر كلام الأدباء؛ إذ إنه يأتي بعد أسلوبي الحذف والإضمار في علم البلاغة من حيث الأهمية، فالتَّضمين لا يأتي في كلام العرب إلا لفائدة زائدة كما قال السيوطي، ولتؤدِّي الكلمة فيه مؤدَّى كلمتين كما قال ابن هشام النحوي في **مغني اللبيب**[٢]، وهو بحر لا ينضب، كما شهد بذلك ابن جني في **خصائصه**[٣]، ويرى البيانيون أنَّ التَّضمين صنف من أصناف الحذف، وقد نُقل عن ابن جني وصفه الحذفَ بأنه شجاعةُ العربية[٤].

---

(١) النَّحو الوافي، ٥٩٥/٢ .

(٢) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، دار الفكر، بيروت، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط١٩٧٢،٣م، ص ٨٩٨.

(٣) الخصائص، ٣٦٠/٢.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار المصطفى، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ٨٢١/٢؛ والتَّضمين في العربية، أحمد حسن حامد، ص٨٣؛ والتَّضمين وأثره في تفسير القرآن الكريم، ص٧.

المبحث الثالث

ضوابط التَّضمين وشروطه عند اللُّغويّين والنُّحاة

لما رأى علماء النحو والبيان أهمية التَّضمين، وعرفوا فوائده البلاغية نظروا إليه على أنه من الأساليب البيانية الرفيعة، وأدركوا أهمية وضع ضوابط وشروط لاستعماله في الكتابة وتوجيه الأدباء والكتاب إلى اعتماد منهجه في كتاباتهم.

في بداية الأمر لم يزيدوا على ذكر ضابط غير قولهم: إنه إشراب لفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه، وأن فائدته البيانية هي أن تؤدِّي كلمة مؤدَّى كلمتين.

والفضل كان للعلامة الزمخشري عندما تكلَّم عن التَّضمين وشرح فائدته البلاغية وذلك في تفسيره **(الكشاف)** وهو الذي لفت أنظار علماء النحو والبلاغة أولًا لبحث التَّضمين ووضع شروط وضوابط له.

كان الهدف في البداية إعانة المفسرين لكتاب الله تعالى وحذوهم حذو الزمخشري في تفسيره[١].

ونظرًا لنشوء الخلاف بين نحاة الكوفة ونحاه البصرة؛ إذ إن التَّضمين أولًا هو قضية لغوية نحوية حول كون التَّضمين في الفعل أو الاسم أو الحرف، وتطور الخلاف في كونه سماعيًّا أم قياسيًّا مما يُودي لاحقًا لإيجاد شروطٍ وضوابط للأخذ بالتَّضمين لضبط مفهومه داخل سياق الكلام المراد تفسيره وفهمه سواء أكان نثرًا أم شعرًا أم نصوصًا من آيات القرآن الكريم[٢].

وكما ذكرنا آنفًا المناقشات التي دارت في هذا العصر في مجمع القاهرة اللُّغوي بين أخذ وردٍّ وخلاف حول كون التَّضمين سماعيًّا أم قياسيًّا بين مثبتين له أو منكرين، وتمخَّضت النقاشات في المجمع عن قرار قبول التَّضمين في اللُّغة كأسلوب ينبغي وضع ضوابط له؛ إذ هو في النهاية تأدية فعلٍ أو ما في معناه للتعبير عن معنى فعل آخر، أو ما في معناه وإعطاؤه حكمه من حيث اللُّزوم أو التَّعدّي.

وقد رجَّح المجمع الأخذ بكونه قياسيًّا لا سماعيًّا ووضعوا له ثلاثة شروط كنا قد ذكرناها في

---

(١) الكشاف هو أول كتاب في تفسير القرآن الكريم، اعتنى بتوضيح مفهوم التَّضمين، وأظهر فوائده البيانية والبلاغية، وكان من بعده عالةً عليه في ذلك.

(٢) التَّضمين و أثره في تفسير القرآن الكريم، ص١٠ ؛ وقضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص ٢٦٤ وما بعدها.

المبحث السابق، وخلاصتها: تحقيق المناسبة بين الفعلين مع وجود قرينه دالَّة على ملاحظة الفعل الآخر مع أمن اللَّبس وملائمة التَّضمين للذوق اللُّغوي، وأن تكون لغرض بلاغي(١).

وكان الشيخ أحمد الإسكندري – وهو من علماء اللُّغة والنحو – قد نَصَرَ ما ذهب إليه مجمع القاهرة اللُّغوي، فرأى أن يجمع آراء اللُّغويين والنُّحاة الكوفيين والبصريين والمعاصرين ليقوِّي ما ذهب إليه من كون التَّضمين قياسيًّا لا سماعيًّا، فكان يقول:

«وصفوة القول: إنَّ هذا التوسع في تعدي الأفعال وما يشبهها بحروف جرٍّ غير التي تتعدَّى بها قياسي على رأي الكوفيين المُحيلين هذا الباب على قياس نيابة بعض الحروف عن بعض بالوضع بلا تعسف أو تكلف وقياسي على رأي بعض البصريين القائلين بالتوسع فيما يمكن فيه من الفعل، وهو ضرب من المجاز وقياسي عند جميع البيانيين؛ لأنَّه من باب التوسع في حذف الحال ونحوه، المتعلِّق به حرف، فيكون من باب الحذف لدليل، وهو قياسي مطَّرد، وقياسي على رأي أكثر المتأخِّرين، كما صرَّح به أبو حيان في كتابه **(ارتشاف الضرب)**، فلهذه الأدلة كلها قرر مجمع اللُّغة العربية الملكي قياسية التَّضمين لرفع الخلاف والشقاق بين الأدباء والنقاد»(٢).

أمَّا **الشرط الأول**، فهو تحقق المناسبة بين الفعلين، فقد أوضحه الشيخ الإسكندري على الشكل التالي: لا يجوز تحميل الفعل معنى بعيدًا عن معناه الوضعي مما يخشى منه فساد الكلام وعدم ضبط معاني الأفعال، فلا يصح تضمين فعل تناول معنى رمى في مثل قولنا: تناولت عن القوس فيكون معناه: رميت عن القوس فنقع في اعتباطية الفهم وعشوائية التركيب اللُّغوي المنافي لقوانين اللُّغة العربية المنضبطة بقواعدها الكلية والجزئية على حدٍّ سواء(٣).

فقوله تعالى: ﴿ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [التوبة:٣٨] فيه معنى التباطؤ والتقاعس والإخلاد فصحت تعديته بـ (إلى) فنفهم منه معنى الميل إلى الدنيا وزخرفها، فكل هذه المعاني متضمنة في لفظ التثاقل، وكلها يصح تعديتها بحرف الجر (إلى)، فلو ذهبنا نفسر (اثاقلتم) بـ(ذهبتم وابتعدتم) مثلًا، فلا ينسجم ذلك مع الأساليب البلاغية؛ إذ البون شاسع بين لفظ الذهاب والتثاقل؛ مما يقوي تقبُّل التَّضمين وتقعيده قياسيًّا.

ولأن اللِّسان العربي له نظام خاصٌّ به؛ فمن السهل معرفه الفعل المناسب للفعل المتضمِّن معناه؛ لاسيما وأن الترادف بين الألفاظ من منطق اللُّغة فهو يساعد على معرفة الفعل وما يساويه

---

(١) لعلَّه من باب التوفيق اعتبار التَّضمين قياسيًّا ؛ إذ يمكن معه وضع قواعد جزئية تضبط استعمال الأدباء والمفسرين له، بعيدًا عن الفوضى والإساءة اللغوية التي كان يخشاها الدكتور عباس حسن، كما مرَّ معنا في تفصيل المسألة.

(٢) مجلة مجمع القاهرة اللُّغوي، العدد الأول، لسنة ١٩٣٤ م، ص ١٩٥.

(٣) مجلة مجمع القاهرة اللُّغوي، العدد الأول، لسنة ١٩٣٤ م، ص ١٩٦.

للتوفيق في تفسير التَّضمين[١].

أمَّا **الشرط الثاني** لقياسية التَّضمين، كما وضعه مجمع القاهرة اللُّغوي، فهو وجود قرينة دالة على ملاحظة الفعل الآخر مع أمن اللَّبس. فقال الشيخ أحمد الإسكندري: إنَّ القرينة هي الركن الأقوى في التَّضمين، ولولاها ما عرف أنَّ الفعل تُوُسِّعَ في معناه[٢].

إنَّ أشهر القرائن وأكثرها ورودًا حرف الجر الذي يتعدَّى به الفعل، ولم يكن من حقِّه أن يتعدَّى به كاللام الداخلة على (مَنْ) في قول المصلي: سمع الله لمن حمده. وكالمفعول لفعل أصله أن يتعدَّى بحرف جر فعدِّي بنفسه لتضمُّنه معنى فعل آخر يتعدَّى بنفسه، كقوله تعالى: ﴿ فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴾ [مريم:٢٢] فإن (انتبذت) ضمِّن معنى (أتت) فنصب(مكانًا) وكالمفعول لفعل قاصر لا يتعدَّى مطلقًا فضمِّن معنى فعل يتعدَّى بنفسه نحو ﴿سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] بمعنى أهلك[٣].

وأمَّا الشيخ محمد الخضر حسين التونسي، من علماء اللُّغة، وكان من أعضاء مجمع اللُّغة العربية في دمشق والقاهرة، كان لا يكتفي باشتراط وجود القرينة، ولكنه اشترط أن يكون المتكلم قاصدًا للتضمين عارفًا بأصوله عندما يخرج بالفعل عن استعمالاته المألوفة، وإلا كان كلامه من قبيل الخطأ، فنراه يقول: «فإذا وجدت العلاقة بين الفعلين ولم يلاحظها المتكلِّم، بل استعمل فعل «أذاع» مثلًا متعديًّا بحرف الباء على ظن أنه يتعدَّى بهذا الحرف لم يكن كلامه من قبيل التَّضمين، بل كان كلامه غير صحيح عربية»[٤].

أمَّا **الشرط الثالث** لقياسية التَّضمين، كما وضعه مجمع القاهرة اللُّغوي، وهو ملائمة التَّضمين للذوق العربي[٥]، فلما كان الذوق اللُّغوي مختلفًا بين فرد وآخر بحسب خصوصية التفاعل بين العوامل

---

(١) انظر: قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص ٢٦٩.

(٢) مجلة مجمع القاهرة اللُّغوي، العدد الأول، سنة ١٩٣٤م، ص ١٩٧ ؛ وانظر: قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص١٧٥.

(٣) شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، تحقيق: د. يحيى بشير مصري، ط١، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ١٩٩٦م، ٤٠٤/١؛ ومجلة مجمع القاهرة اللُّغوي، العدد الأول، سنة ١٩٣٤م، ص ١٩٧ –١٩٨.

(٤) دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، الدار الحسينية للكتاب، ٢٠٠٠ م، ص٢٠٥.

(٥) الذوق العربي أمر معنوي لا يخضع للقوانين والقواعد الصارمة حتى نعرف متى يكون الكلام ملائمًا للذوق أم غير ملائم، وإنما هو يخضع للحالة الاجتماعية والنفسية والأخلاقية للمتكلم، فبمحصلة هذه الحالات كلها مجتمعة

المكونة له وطغيان بعضها على بعض، ومن هنا كان اشتراط المجمع اللُّغوي القاهري متأثرًا بالعاطفة أكثر منه بالمنطق اللِّساني والدليل اللُّغوي، وليس كل الناس على مستوى وأحد من هذه الناحية وهو موهبة مرتبطة بالتمكُّن اللُّغوي والتعمُّق في لغة العرب ومعرفه أساليبها في الكلام، فمن هنا فالذوق اللُّغوي له الحق في الحكم على الألفاظ واستعمالاتها في كل قضايا النحو واللُّغة، ومنها (التَّضمين).

وهذا ينقلنا إلى مسألة مهمه فيما يتعلَّق بأثر التَّضمين في تعدية الأفعال أو لزومها؛ لأنَّ إشراب اللَّفظ معنى اللَّفظ المتضمِّن له وأخذه حكمَه دليلٌ على عمل اللَّفظ الآخر (المضمَّن في تركيب الجملة)، وربط حكمه بالتَّعدِّي واللُّزوم يؤكد أنَّ التَّعدِّي واللُّزوم هو حقيقة التَّضمين[١].

أمَّا أثر التَّضمين في تعدي الأفعال ولزومها فهو على حالين:

الأول: الأثر المعنوي وهو عبارة عن الجمع بين معنيين في لفظ وأحد.

الثاني: الأثر الإعرابي فيتمثَّل في كون الفعل سالكًا طريقًا غير مألوف فيما يتصل باللُّزوم والتَّعدِّي[٢]. فالتَّضمين يعطي معنى عامًّا نتيجة الجمع بين معنى الفعلين والعمل الإعرابي هو عمل الفعل المضمَّن دون الفعل الآخر الذي أعطى الفعل الأصلي المعنى الجديد، وهو عمل التَّضمين فيدلُّ الفعل المذكور على معناه، وعلى معنى الفعل الآخر معًا، كما أنه يؤدِّي عمل الفعل المضمَّن في ظاهر التركيب.

ومن هنا ينتفع المفسر بالكلام سواء كان قرآنًا أم حديثًا أم شعرًا أم حتى نثرًا؛ لأنَّ هدفه توجيه المعنى وفهمه، وليس التركيز على مجرد الحالة الإعرابية، وكمثال على ما نقول قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ﴾ [البقرة:٢٣٥] فقد ضمِّن (لا تعزموا) معنى (لا تنوُو) ولهذا عدِّي بنفسه لا بـ«على» والمناسبة بين الفعلين هي المصاحبة[٣].

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ﴾ [البقرة:١٨٥] فقد ذكر الزمخشري أنه عدِّي فعل التكبير بحرف الاستعلاء «على» لكونه مضمَّنًا معنى الحمد كأنه قيل: ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم. فالمناسبة بين الفعلين هي علاقه المصاحبة[٤].

مثال آخر قوله تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرۡيَةٍ عَتَتۡ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهَا﴾ [الطلاق:٨] معنى «عتت» أعرضت

معًا هي التي تجعلنا نتمسك باستخدام لفظ ما معيَّن، والامتناع عن استعمال لفظ آخر غيره. انظر: النَّحو الوافي ٥٩٤/٢.

(١) النَّحو الوافي، ٥٩٤/٢؛ وقضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص ٢٧٦-٢٧٩.

(٢) قضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ص ٢٧٩ بتصرف.

(٣) مغني اللبيب، ص ٨٩٨.

(٤) الكشاف، ٢٢٨/١.

عنه على وجه العتوِ والعناد. فالفعل «عتت» ضمِّن معنى أعرضت، فعدِّي بـ«عن».

مثال آخر قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٦] ضمِّن فعل «يشرب» معنى يَرْوَى فتعدَّى بـ«الباء» وحقُّه أن يتعدَّى إلى مفعول وأحد بنفسه(١).

وقوع التَّضمين في القرآن الكريم، والحديث النبوي:

وقوع التَّضمين في القرآن الكريم: من خلال ما مرَّ معنا في المباحث السابقة يتبيَّن لنا أنَّ التَّضمين واقع في كتاب الله عز وجل، وهو واقع في حروف المعاني المستخدمة في القرآن، وكذا في الأفعال والأسماء(٢).

وقال بعض أهل البيان: إنه لا يوجد في القرآن(٣).

أمَّا وقوع التَّضمين في الحروف، فمثل (عن) في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ﴾ [التوبة:١١٤] فقد تضمَّنت (عن) في هذه الآية معنى (لام التعليل) أي: معناها: لأجل موعدة، وتأتي (عن) متضمِّنة معنى (على) كما في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ﴾ [محمد:٣٨] أي: عليها، وكذلك تتضمن معنى (من) كما في قوله تعالى: ﴿يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [التوبة:١٠٤] أي: منهم(٤).

وهذا تفسير بحسب مذهب الكوفيين في تضمن الحروف معاني حروف أخرى غيرها، وقد مرَّت بعض الأمثلة على تضمن الحروف في المباحث السابقة.

وأمَّا وقوع التَّضمين في الأفعال في كتاب الله تعالى، فأن يضمَّن فعل معنى فعل آخر فيكون فيه معنى الفعلين معًا، وذلك بأن يأتي الفعل متعديًا بحرف ليس من عادته التَّعدِّي به فيحتاج إلى تأويله أو تأويل الحرف ليصح التَّعدِّي به، والأول تضمين الفعل والثاني تضمين الحرف(٥).

مثاله: قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾ [الشورى:٢٥] عُدِّيت بـ(عن) لتضمُّنها معنى

---

(١) بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد، ط١، دار البيان، دمشق، ١٩٩٤م، ٢٦١/١.

(٢) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (د. ت) ٣٣٨/٣؛ والإتقان في علوم القرآن، ٧٦٨/٢.

(٣) البرهان في علوم القرآن، ٣٤٣/٣.

(٤) الإتقان في علوم القرآن، ٥٢٠/١-٥٢١.

(٥) البرهان في علوم القرآن،٣٣٨/٣؛ والإتقان في علوم القرآن، ٧٦٨/٢؛ ونظرات في كتاب الله تعالى، ٥٢.

العفو والصفح.

وفي قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان:٦] فيشرب إنما يتعدَّى بـ(من) فتعديته بـ(الباء) إما على تضمينه معنى (يروي) و (يلتذ) أو تضمين (الباء) معنى (من)[١].

فالكوفيون تقتضي نظرتهم أنَّ حرف (الباء) هنا معناه (من) بدليل قوله في الآية قبلها: ﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾ [الإنسان:٥].

والبصريون تقتضي نظرتهم أنَّ فعل (يشرب) ضمن معنى (يرتوي) و(يلتذ) وهي أفعال تتطلب حرف (الباء) فأخذت ما يناسبها، والمراد: يشربون مُرتوين ومُلتذِّين بها.

وهذا معنى خفيٌّ جميلٌ يؤيّد نظرة البصريين في التَّضمين الوارد في الآية الكريمة، فلولاه لرجَّحنا رأي الكوفيين الذي ذهبوا إليه من تضمين (الباء) معنى حرف (من)[٢].

وأمَّا في الأسماء فأن يُضمَّن اسم معنى اسم لإفادة معنى الاسمين معًا نحو قوله تعالى: ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ﴾ [الأعراف:١٠٥] ضمِّن (حقيق) معنى (حريص) ليفيد أنه محقوق بقول الحق وحريص عليه[٣].

ومنه – أيضًا – قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥]، فهنا – كما يبدو– لو سألت الكوفيين لقالوا لك: (الباء) هنا حرف صلة زائد أُتي به لتقوية المعنى، وأن المراد: ومن يُرد فيه إلحادًا، أمَّا البصريون فلو سألتهم لقالوا لك: إنَّ فعل (يُرد) هنا تضمَّن معنى (يهمُّ) أو (يتلبَّس) الذي يحتاج إلى (الباء) والمراد: ومن يهمُّ فيه أو يتلبس بإلحادٍ نذقه من عذاب أليم، وهو الأولى كما أرى؛ لأنَّ الواجب على من كان في الحرام أن يضبط نفسه، ويسلك طريق السداد في كل ما يهمُّ ويقصد؛ لأنَّه في المكان الأقدس وهو البيت الحرام... فاقتضى التشديد في الحساب لمن ألحد وتخطَّى ما حدَّ الله له من المقاصد؛ لتكون استقامة العبد هناك بما يتوجَّه إليه على أحسن وأفضل ما يطلب من المؤمن، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

ففي الآية إنذار وتحذير توخَّى فيهما الشارع الحكيم أن يظل الحرم على ما أراده الله له موطن الحرمة مهيئًا لمواسم العبادة يستقبل قاصديه من فجاج الأرض في مأمن من المفاسد والمظالم، ومن خلال تحليل هذه الآية فقد رجَّحت رأي البصريين؛ (لأن مجرد الإرادة لا يحاسب عليه المرء، بل لا بد من الفعل أو التلبس)؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا مَا**

---

(١) البرهان في علوم القرآن،٣/٣٣٨؛ والإتقان في علوم القرآن، ٢/٧٦٨.

(٢) نظرات في كتاب الله تعالى، ٥٥.

(٣) البرهان في علوم القرآن،٣/٣٣٨؛ والإتقان في علوم القرآن، ٢/٧٦٩.

لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ»[1].

وحيث إنَّ التَّضمين من الأساليب الواقعة في كتاب الله تعالى فقد اختلفوا: أيهما أولى ؟ تضمين الفعل فعلًا آخر أم تضمين الحرف حرفًا آخر؟ فقال أهل اللُّغة وقوم من النُّحاة: التوسع في الحرف، وقال المحققون: التوسع في الفعل؛ لأنَّه في الأفعال أكثر[2].

ومثاله أيضًا: قوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا﴾ [يوسف:٨٢] (أقبل) لا يتعدَّى بـ (في) قال تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [القلم:٣٠] وقال سبحانه: ﴿وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ﴾ [يوسف:٧١]، وحين تعدَّى بغير حرفه المعتاد كان لابد من حمله على التَّضمين، قال البيضاوي: أي: أصحاب العير التي توجهنا فيهم، فضمَّن (أقبل) معنى (وجه) والمتعدِّي بـ(في) كما في اللِّسان: وجَّهته في حاجتي.

فلعلَّ الإقبال يتضمَّن في سياق الآية معنى (السلوك) ويكون معنى الآية: واسأل أصحاب العير أو القافلة التي سلكنا فيها. أمَّا في قوله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ﴾ [الذاريات:٢٩]، فالإقبال في هذا السياق يحمل معنى (الشروع) شرعت في الصياح، أو كما قال الزمخشري[3]: «فجاءت صارَّةً وجهها»، وإنما جاء الإقبال بدل الشروع ليكون باعثًا على استحضار الخاطر فيما بدا عليها من استغراب، وما وقع في نفسها من استحسان[4].

وقوع التَّضمين في الحديث النبوي الشريف: لقد ورد أسلوب التَّضمين في مادة الحديث النبوي، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أفصح من نطق بالضاد، ففي باب الأفعال على سبيل المثال نجد قوله صلى الله عليه وسلم: «**أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ نَهَرًا بِبَابِ أحدكُمْ يَغْتَسِلُ فِيهِ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسًا، مَا تَقُولُ ذَلِكَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ ؟**» قَالُوا: لاَ يُبْقِي مِنْ دَرَنِهِ شَيْئًا. قَالَ: «**فَذَلِكَ مِثْلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللَّهُ بِهَا الخَطَايَا**»[5].

---

(١) رواه البخاري، برقم٤٨٦٤، ومسلم، برقم ٣٤٦؛ ونظرات في كتاب الله تعالى، ص٥٥-٥٧ ؛ والتَّضمين النَّحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط١٤٢٦،١هـ-٢٠٠٥م، ٢/٢١٦-٢١٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن،٣/٣٣٨؛ والإتقان في علوم القرآن، ٢/٧٦٨.

(٣) الكشاف، ٤/٤٠٢.

(٤) التَّضمين النَّحوي في القرآن، ١/٢١٩.

(٥) رواه البخاري، برقم ٥٢٨.

فقد أجرى فعل القول الوارد في الحديث (ما تقول) مجرى فعل الظن، والشرط الذي ذكره ابن مالك وغيره من النُّحاة، إنما هو لإجراء فعل القول مجرى فعل الظن، وشرطه أن يكون مضارعًا مسندًا إلى المخاطب متصلًا باستفهام(١).

وفي قوله: (أرأيتم) اتصل الفعل حقيقة بالاستفهام، وإن وقع الفعل عنده ماضيًا، ولكن دلالته بالنظر إلى الاستقبال، فالرؤية متكررة، والفعل المتضمن في الفعل المتجدِّد كذلك(٢).

وفي باب الأسماء وردت (مَنْ) الموصولة المتضمِّنة معنى الشرط في أكثر من موضع في صحيحي البخاري ومسلم، ومنه قوله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ يُرد اللهُ به خيرًا يفقِّهْه في الدِّين**»(٣). (مَنْ) أي: الذي (يرد) اللهُ به خيرًا، بنصب مفعول (يرد) المجزوم؛ لأنَّه فعل الشرط؛ إذ الموصول متضمِّن معنى الشرط، وكسر لالتقاء الساكنين، وجواب الشرط (يُفَقِّهْهُ) فالهاء ساكنة(٤).

ومثاله أيضًا: قوله صلى الله عليه وسلم: «...**فإنَّ من تمام النِّعمة دخولَ الجنةِ والفوزَ من النار**»(٥). فقد ضمِّن (الفوز) معنى (النجاة) وتأويله: تمامُ النِّعمة دخولُ الجنة والفوز نجاة من النار.

فوائد التَّضمين البلاغيَّة ودوره المهمُّ في اتِّساع اللُّغة المتمثِّل في إكساب اللَّفظ معاني متنوِّعة ووظائف ودلالات جديدة:

ذكرنا سابقًا أن التَّضمين من الأساليب البلاغية البيانية الرفيعة، فلقد رأينا كيف أن التَّضمين يؤدِّي إلى إعطاء معنيين معًا في لفظ وأحد، واستشهدنا بقول الزمخشري حينما فسَّر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَهُمْ إِلَىٰٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [النساء:٢] أي: ولا تضمُّوها إليها آكلين لها(٦).

وللتضمين فوائد دلالية وأخرى بلاغية لها شأنها في الرقي بأساليب التعبير، ويمكن حصرها في فوائد ثلاث:

الفائدة الأولى: الإيجاز: لأنَّ في التَّضمين تعبيرًا بلفظ وأحد عن مجموع معنيين، كما دلَّ على ذلك كلام الزمخشري وابن هشام الأنصاري، والإيجاز تقليل عدد الألفاظ في الجملة ما أمكن وحذف الزيادات منها.

---

(١) إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٨١/٢؛ والتَّضمين في الحديث النبوي الشريف، رابعة يوسف جبريل حسين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، عمان–الأردن، ٢٠١٢ م، ص ٧١.

(٢) التَّضمين في الحديث النبوي الشريف، ص٧١.

(٣) رواه البخاري، برقم٧١.

(٤) التَّضمين في الحديث النبوي الشريف، ص٦٣.

(٥) رواه الترمذي، برقم ٣٥٢٧.

(٦) الكشاف، ٧١٧/٢.

قال ابن الأثير: «ربَّ لفظ كثير يدلُّ على معنى قليل، كالجوهرة الوأحدة نسبة إلى دراهم كثيرة فمن أراد شرف المعنى آثر الجوهرة لنفاستها»(١).

قال أبو هلال العسكري: «وقد قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد»(٢).

الفائدة الثانية: التوسع في استعمال اللَّفظ بجعله عن طريق التَّضمين يؤدِّي مؤدَّى غيره أي: أن اللَّفظ يُوظَّف في التعبير عن معنى لم يكن يدلُّ عليه في أصل الوضع، فتتسع دلالة الألفاظ التي يدخلها التَّضمين، وهذا يؤدِّي إلى اتساع اللُّغة، وزيادة قدرتها على استيعاب المعاني والتعبير عنها.

الفائدة الثالثة: المبالغة والتوكيد: وقد انفرد الزمخشري في التنبيه عليها، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ﴾ [يوسف:٥] قال: والمعنى: إن قصصتها عليهم كادُوك. فإن قلت: هلَّا قيل: فيكيدوك، كما قيل:﴿فَكِيدُونِ﴾ [هود: ٥٥] قلت: ضمن معنى فعلٍ يتعدَّى باللام ليفيد معنى فعل الكيد، مع إفادة معنى الفعل المضمَّن، فيكون آكدَ وأبلغَ في التخويف، وذلك نحو: فيحتالوا لك، ألا ترى إلى تأكيده بالمصدر(٣).

يقول الدكتور فاضل صالح السامرائي: إنَّ للتضمين غرضًا بلاغيًّا لطيفًا، وهو الجمع بين معنيين بأخصر أسلوب... وذلك نحو قوله تعالى: ﴿وَنَصَرۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ﴾ [الأنبياء:٧٧] فقد ذهب قوم إلى أن (مِنْ) هاهنا بمعنى (على)، وهذا فيه نظر، فإن هناك فرقًا في المعنى بين قولك: نصره منه، ونصره عليه، فالنصر عليه يعني: التمكُّن منه والاستيلاء عليه والغلبة... قال تعالى: ﴿فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] أي: مكِّنَّا منهم، وليس هذا معنى نصره منه، أمَّا نصرناه منهم، فإنه بمعنى نجيناه منهم، أو منعناه منهم، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ﴾ [هود:٣٠] فليس المعنى: من ينصرني على الله؟ بل: من ينجيني ويمنعني منه...، إلى أن يقول: وهذه فائدة التَّضمين، ففيه كسب معنيين في تعبير وأحد، معنى الفعل المذكور والفعل المحذوف الذي ذكر

---

(١) المثل السائر، ٦٨/٢.

(٢) الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية،بيروت،١٩٨٩م، ص١٩٣ .

(٣) الكشاف،٤٤٤/٢ ؛ وقضايا اللُّزوم والتَّعدِّي في النَّحو والصرف والدلالة، ٢٩٤-٢٩٦.

شيء من متعلقاته[١].

فاللجوء إذًا إلى التَّضمين كأسلوب بلاغي متفق عليه عند البيانيين فيه مبالغة وتوكيد في تصوير المواقف والظروف المحيطة بها، وفيه توسيع للمعاني التي يؤدّيها اللَّفظ، وفيه من فضيلة الإيجاز ما يعدُّ منتهى حسن البلاغة.

ولما كان التَّضمين سببًا في تأدية لفظ وأحد مؤدَّى لفظين، فهذا دليل أثره في اتساع اللُّغة بجعل اللَّفظ مكتسبًا معاني جديدة؛ تضاف إلى معانيه الدالِّ عليها في أصل وضعه.

الخاتمة

من خلال هذه الجولة التي تناولنا فيها تعريف التَّضمين، ومعرفة دلالاته، تبيَّن لنا أن التَّضمين ظاهرة بلاغية لافتة للنظر في الدرس النحوي العربي، ثم في الدرس البلاغي، ثم في الدرس التفسيري للقرآن الكريم، جديرة بأن يتوقَّف عندها الباحثون.

وقد رأينا كيف كان للعلماء الأولين عنايةٌ بهذه الظاهرة الأسلوبية، وكيف تناولوها من زاوية الأصل والفرع، واللُّزوم والتَّعدِّي، وقسموها بحسب عناصر الكلمة، ونظروا في حالاتها وبيَّنوا الدِّلالات التي تؤدّيها في العربية.

وقد لاحظنا أن مجال التَّضمين يكون في الأسماء، وتتعدَّد مظاهر التَّضمين الاسمي ، ويكون في الأفعال، ويقع فيها التَّضمين، بل وتتنوع مظاهر التَّضمين الفعلي، ويكون في الحروف؛ ممَّا يجعلنا نقول: إنَّ هذا الباب من الدرس اللُّغوي ليدلُّنا على أن التَّضمين أحد أوجه التوسع في المعنى في العربية، والمبالغة والتوكيد، والإيجاز.

التَّضمين سرٌّ من أسرار العربية، ومن أهم مفاتيح اللُّغة، له تلك الأهمية في دراسة العلماء قديمًا، ودفع الباحثين للإبحار في هذا الموضوع حديثًا.

وخلص البحث إلى النتائج الآتية:

١ - التَّضمين: هو إعطاء اللَّفظ معنى اللَّفظ، وأخذه حكمه في اللُّزوم والتَّعدِّي، ويكون في الحروف والأفعال والأسماء، والتَّضمين يكتسب مفاهيم متعدِّدة تبعًا لتنوُّع علوم اللُّغة التي تناولته، فهناك التَّضمين النَّحوي والتَّضمين البياني والتَّضمين البديعي والتَّضمين العروضي، وهذه المفاهيم في

(١) معاني النَّحو، فاضل صالح السامرائي، ط٢، شركة العاتك، القاهرة،٢٠٠٣ م، ١٢/٣-١٣؛ ونظرات في كتاب الله، ٥٣-٥٤.

الغالب تتَّصل بالمعنى اللُّغوي وتستند إليه.

٢ - التَّضمين موجود في علوم النَّحو والبلاغة والعروض، وله أهميَّة كبيرة في اللُّغة نظرًا لتعدُّد ميادينه واتساع حضوره.

٣ - التَّضمين واقع في القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، خلافًا لما ذهب إليه بعض أهل البيان، فقد تناول ابن جِنِّي وابن الشَّجري مفهوم التَّضمين بعمق ووجَّهاه على أساس التَّرادف، أو الحمل على المعنى، وذكرا له أمثلة من القرآن والحديث، كما ذهب ابن كمال باشا إلى أنه مجرد لون من ألوان البيان قائمًا بنفسه.

٤ - أول من حدَّد مفهوم التَّضمين ووضَّحه بدقَّة، واستنبط فوائده البيانيَّة هو الزَّمخشري؛ إذ إنَّه سلك منهجًا نحويًّا بلاغيًّا، كعالم لغة، قبل أن يكون عالمًا بالتَّفسير.

٥ - يعدُّ التَّضمين من الأساليب البلاغيَّة الرَّفيعة، وله دور كبير في تطوُّر اللُّغة واتِّساعها.

٦ - التَّضمين مجاز؛ لأنَّ اللَّفظ لم يوضع للحقيقة والمجاز معًا والجمع بينهما مجاز خاصٌّ يسمُّونه بالتَّضمين تفرقةً بينه وبين المجاز المطلق.

٧ - التَّضمين لا يقاس عليه؛ لكثرة وتشعُّب أسبابه ولوازمه وأغراضه.

٨ - للتَّضمين فوائد كثيرة منها: أنَّه يدلّ بكلمة وأحدة على معنى كلمتين، ومن فوائده البلاغية: الإيجاز، والتوسع في المعنى في العربية، والمبالغة والتوكيد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع

١. الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، تحقيق: د. مصطفى البغا، دار المصطفى، دمشق، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢. ارتشاف الضرب من لسان العرب، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، تحقيق: د. رجب عثمان محمد، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

٣. إرشاد الساري شرح صحيح البخاري، للقسطلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

٤. الأمالي، هبة الله بن علي ابن الشجري، تحقيق: د. محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٢م.

٥. بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية شمس الدين أبو عبد الله محمد، دار البيان، دمشق، ط١، ١٩٩٤م.

٦. البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

٧. التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق: علي محمد البجاوي، (د. ن)، بيروت، ط٢، ١٩٨٧م.

٨. التضمين النحوي في القرآن الكريم، محمد نديم فاضل، مكتبة دار الزمان، المدينة المنورة، ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٩. التضمين في الحديث النبوي الشريف، رابعة يوسف جبريل حسين، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الشرق الأوسط، كلية الآداب، عمان-الأردن، ٢٠١٢م.

١٠. التضمين في العربية، بحث في البلاغة والنحو، د. أحمد حسن حامد، الدار العربية للعلوم، ط١، ٢٠٠١م-١٤٢٢هـ.

١١. التضمين وأثره في تفسير القرآن الكريم، محمد بن عبد الرحمن بن عبد الله البليمي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٨هـ.

١٢. تيسيرات لغوية، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، (د. ط)، (د. ت).

١٣. حاشية العلامة الصبان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، محمد بن علي الصبان،

المطبعة العامرية، القاهرة،(د. ط)، ١٣١٩هـ.

١٤. الحرية في الإسلام، الشيخ محمد الخضر حسين، مؤسسة هنداوي، القاهرة،(د. ط)،٢٠٢١م.

١٥. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، عالم الكتب، بيروت، (د. ط)، (د. ت).

١٦. دراسات في العربية وتاريخها، محمد الخضر حسين، الدار الحسينية للكتاب، (د. ط)، ٢٠٠٠م.

١٧. ديوان ابن زيدون، شرح كامل كيلاني، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، ط١، ١٩٣٢م.

١٨. شرح كافية ابن الحاجب، رضي الدين الأستراباذي، تحقيق: د. يحيى بشير مصري، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض، ط١، ١٩٩٦م.

١٩. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، (د. ط)، ١٩٩٦م.

٢٠. الصناعتين، أبو هلال العسكري، تحقيق: د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٩م.

٢١. العقد الفريد، ابن عبد ربه، تحقيق: أحمد أمين، دار الكتاب العربي، بيروت، (د. ط)، ١٩٨٣م.

٢٢. القاموس المحيط، للفيروز آبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، (د. ط)، (د.ت).

٢٣. قضايا اللزوم والتعدي في النحو والصرف والدلالة، د. محمود الحسن، دار المنهاج القويم، دمشق، ط١، ١٤٤١هـ- ٢٠٢٠م.

٢٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله محمود بن عمر، تحقيق: مصطفى حسين أحمد، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د. ط)، (د. ت).

٢٥. الكليات، أبو البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: الدكتور عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١٩٩٢،١م.

٢٦. المثل السائر، ضياء الدين ابن الأثير، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، (د. ط)، ١٩٩٥م.

٢٧. مجلة مجمع القاهرة اللغوي، العدد الأول، سنة ١٩٣٤م.

٢٨. معاني النحو، فاضل صالح السامرائي، شركة العاتك، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٣ م.

٢٩. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، (د. ط)، (د. ت).

٣٠. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري، تحقيق: د. مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط٣، ١٩٧٢م.

٣١. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، القاهرة، ط٩، ١٩٨٧م.

٣٢. نظرات في كتاب الله تعالى، هشام عبد الرزاق الحمصي، دار الكلم الطيب، دمشق- بيروت، ط٣، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.